



قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان



المحتويات

- 3.....مقدمة
- 4.....أبو حنيفة تلميذ حماد بن سليمان
- 6.....أبو حنيفة التاجر
- 10.....أبو حنيفة الفقيه
- 13.....إبداعات المذهب الحنفي
- 14.....أصول المذهب الحنفي
- 16.....أبو حنيفة وأخلاق الصالحين
- 18.....أبو حنيفة وحسن الجوار
- 20.....أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة
- 21.....أبو حنيفة مع الحكام
- 23.....وفاة أبي حنيفة
- 24.....كلمة أخيرة (الصلاة)

لم يختلف الناس على رجل كما اختلفوا في أبي حنيفة النعمان. فغالى البعض في حبه حتى قالوا أنه أوتى الحكمة، وأنه كان يتلقى العلم من رسول الله مباشرة. واشتط الآخرون في كراهيته، حتى اتهموه بالمروق عن الدين. وكل ذلك نتيجة سلوك الشيخ وآرائه الفكرية الجسورة.

اسمه النعمان بن ثابت، وكني بأبي حنيفة بسبب ملازمته لدواة الحبر التي تسمى حنيفة في لغة أهل العراق وقتها. ولد عام 80هـ، في عهد عبد الملك بن مروان، ورأي في حدائته ثمانية من الصحابة منهم أنس بن مالك وروى عنه بعض الأحاديث مثل: **إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ** رواه الترمذى وصححه الألباني، وحديث: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ مَخْرَجَ بَطْرُقٍ** متعددة.

اهتم الفتى الصغير في بداية حياته بدراسة علم الكلام (الفلسفة)، لكنه انصرف بعد ذلك إلى دراسة الشريعة. وكان وهو صغير يكثر الذهاب للسوق ليتعلم التجارة، فقد كانت لديه قناعة بأنه ينبغي أن نتعلم كل شي من مصادره، ثم بدأ النعمان يجلس إلى العلماء ليتعلم.

وكان أبو حنيفة هو أول الأئمة الأربعة، فهو أكبر من الإمام مالك سناً، وإن كانا في عصر واحد،

وهو أول من دون الفقه الإسلامي وسجله باباً باباً.

أبو حنيفة تلميذ حماد بن سليمان

كان أبو حنيفة فتى ذواقة، يختار من كل شئ أحسنه، فقد كان يلبس الثوب بأربعمائة درهم، وقت أن كان الكبش بدرهم، وربما لبس جبة (معطف) سنجاب أو جبة ثعلب، وكان تاجرا للقماش فكان يختار لنفسه أحسن الثياب، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ. صححه الألباني**. وهذا الذوق الرفيع في ملبسه كان سمته في كل حياته، فعندما كان يبحث عن حلقات العلم ليجلس فيها اختار حلقة أكبر الأساتذة في عصره: حماد بن سليمان.

كان حماد آية في الزهد والورع،

فكان يفطر عنده كل ليلة في شهر رمضان خمسون إنسانا،

فإذا كانت ليلة العيد كساهم ثوبا ثوبا.

وحماد كان تلميذا لعلية الأساتذة، فإليه انتهى علم إبراهيم النخعي الذي كان تلميذا لعلقة بن قيس، وكان علقة تلميذا لعبد الله بن مسعود الصحابي الجليل. ومن ثم، انتقل علم سيدنا عبد الله بن مسعود إلى أبي حنيفة عبر هذه السلسلة المباركة.

انخرط الفتى النعمان في سلك تلاميذ حماد فكان أبرزهم؛ فحماد يسأل فيجيب النعمان ويخطئون، وهو التلميذ الوحيد الذي يجادل حماد حتى يحمر وجهه، ومع ذلك لا ينفر منه بل إن أبا حنيفة قام يوما من مجلس

حماد فقال حماد لجاره: هذا - يقصد أبا حنيفة على ما ترى منه من كثرة السؤال- يقوم الليل كله ويحييه.

وكان أبو حنيفة يكثر سؤال حماد حتى ربما قال له حماد يوما " يا أبا حنيفة قد انتفخ جنبي وضاق صدري". واستمر التلميذ النجيب مقبلا على أستاذه حتى صار حماد يجلسه بجواره.

وكان أبو حنيفة يسهر مع جماعة من أصحابه في دار حماد، وكان للشيخ ديك يصيح أول الليل، فكانت هذه العلامة بين حماد وتلاميذه. فإذا صاح الديك انفرط عقدهم وقام حماد، فكان أبو حنيفة يقول: يا لك من ديك قبحك الله، إن شر الديكة ما صاح أول الليل.

وفي سنة ١٢٠هـ مات حماد، فاجتمع الناس إلى ابنه إسماعيل ولم يكن مثل أبيه، فاجتمعوا أخيرا إلى أبي حنيفة ليحل محل حماد. وظلت زكريات حماد في نفس أبي حنيفة، فكان يقول:

إني لأدعو لحماد مع أبواي ”

بل إن أبا حنيفة يخلد زكري أستاذه فيسمى ابنه حمادا ثم يسمي حفيده إسماعيل كما كان لحماد ولد اسمه إسماعيل.



كان أبو حنيفة حزازا (ببيع الحرير الخالص)، وقديما كان نبي الله إدريس خياطا، وكان الصديق أبو بكر بزازا (بائع أقمشة). وكان أبو حنيفة الفقيه من أكبر تجار الكوفة، وكان يرى أنه

كلما بعد الفقيه عن الحاجة قربت الفتوى من الله.

وأكد الشافعي ذلك بعد نصف قرن فقال: لا تشاور من ليس في بيته دقيق فإنه مشغول العقل.

فأبو حنيفة تلميذ في مدرسة رسول الله الذي قال: ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده. **صحيح الجامع**. ولما سئل: يا رسول الله أي الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده، وكلُّ بيعٍ مبرورٍ " صححه الألباني، ويقول أيضا: نعم المال الصالح للمرء الصالح. " حديث صحيح

بدأ أبو حنيفة حياته في التجارة بطابعه العلمي، فدخل السوق يدرس على أستاذ يعلمه التجارة، ثم اختار أبو حنيفة مكان دكانه في أبرز معالم الكوفة، وهي دار عمرو بن حريث الصحابي، وهي الدار التي تشبه قلعة صلاح الدين بمصر من حيث ارتباط تاريخ البلد بها. فعمرو بن حريث ولد قبل الهجرة بسنتين، وكان النبي قد مسح رأسه وهو صغير، ودعا له بالبركة في بيعه وشرائه، فكسب مالا عظيما، وكان

من أغنى أهل الكوفة . يقول عمرو بن حريث: ذهب بي أخي سعيد بن حريث إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقسم بعض الغنائم، فأعطاني قطعة من ذهب، فكنت لا أجعلها في شيءٍ إلا بورك لي فيه، ووضع آخرها في هذه الدار الفخيمة التي سميت باسمه، ولاحقا صارت دكان أبي حنيفة فيها.

أما عن أريحية أبي حنيفة التاجر فحدث ولا حرج، فقد جاءته يوما عجوز تطلب ثوبا وتستعطفه بسنها أن يرفق بها فقال: دونك هذا الثوب يا أماه بأربعة دراهم، فقالت لا تسخر مني وأنا عجوز، قال: إنه كذلك.. لقد اشتريت ثوبين فبعت أحدهما بالثمن كله إلا أربعة دراهم وهذه هي الدراهم المتبقية.

كان التفكير أدواته في الفقه، وكان الفقه أدواته في التجارة، والسعر عند الإمام على أساس الربح المعقول. ... خدع أحد تلاميذه يوما مشتريا فقبض منه ألف درهم وتباهى بذلك أمام أستاذه الذي أمر برد ما زاد على الثمن بعد أن حاول أن يرد المال كله للرجل!!.

وكان عنده ثوب فيه عيب فبينه لشريكه في التجارة ليبينه للناس، فباع هذا الشريك الثوب، ونسي أن يبين العيب، وقبض الثمن كاملا، فأصر أبو حنيفة أن يبحث عن المشتري ليرد إليه الفرق، فلما لم يجده انفصل عنه وترك شراكته، ورفض أن يضيف الثمن لحر ماله وتصدق به كاملا.

وأخلاقه هذه كبائع لا تختلف عن أخلاقه مشتريا فقد جاءت امرأه تعرض عليه شراء ثوب من الحرير بمائة درهم فقال: هو يستحق أكثر من ذلك، وما زال يزيدها حتى اشتراه منها بـ 400 درهم والمرأة لا تصدق وهي التي جاءتته تطمع أن يشتريه منها بمائة درهم فقط، فقال: هاتي رجلا وباعه نفس الثوب بـ 500 درهم، فصدقت المرأة وعلمت أنه لم يرد الإحسان إليها، ولكن أراد أن يعطيها حقها، فهو ينصف البائع والمشتري.

إن قاعدة الإصلاح في أي جيل هي أن يصلح المصلح نفسه أولا قبل أن يتحدث في إصلاح سواه وعندها فقط يكون قادرا على إصلاح غيره، وهذه القاعدة طبقها أبو حنيفة بحذافيرها.

لقد كانت الأريحية طبعا أصيلا في أبي حنيفة، فهذا رجل يهدي إليه منديلا قيمته 3 دراهم فيهديه أبو حنيفة قطعة حرير قيمتها 50 درهم، فيقول الرجل: لو علمت أنك تفعل ذلك ما أهديت إليك، فيرد أبو حنيفة:

لا تقل هذا فإن الفضل للسابق

" والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: من استعادكم بالله فأعينوه، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه. **حديث صحيح**

وازدهرت تجارة أبي حنيفة حتى أن أعداءه دسوا له عند الخليفة أبو جعفر المنصور أن أمواله ينفقها ليساعد الخارجين على الدولة!!!..

فإلى هذا القدر بلغت أمواله أن يُظن أنها يمكن أن تساعد في التأليب على دولة.

والجميل أن أبا حنيفة كان يتعهد تلاميذه بالمال فيدفع للفقير من تلاميذه كل شهر ١٠٠ درهم ليعينه على الانتظام في الحلقة حتى أن أبا يوسف أشهر تلامذة أبي حنيفة قال: كان أبو حنيفة يعولني وعيالي ٢٠ سنة وإذا قلت له ما رأيت أجود منك، يقول:

كيف لو رأيت حمادا!!

يقصد أستاذه حماد بن سليمان.



الجميل أن أبا حنيفة كان يفصل تماما بين العلم والعمل، معطيا لكل منهما وقته الخاص... فكان مكان العمل للعمل فقط، وكان يقدر العلم أن يدرس في السوق حتى لو كان عماله في دكانه هم أنفسهم تلاميذه آخر اليوم بالمسجد.

نحن الآن في المسجد الجامع بالكوفة بالعراق.. هنا في هذا الجامع جلس زعيم مدرسة الكوفة الأول سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل الذي بعثه عمر للعراق ليعلم أهلها وآثرهم به على نفسه واستمر هناك حتى سنة 32هـ، ومن بعده جلس في نفس المسجد مسروق وعلقة حتى سنة 73 هـ، ثم شريح القاضي حتى سنة 82 هـ، ثم الشعبي حتى سنة 104 هـ، ثم حماد بن سليمان أستاذ أبي حنيفة حتى سنة 120هـ.

والآن يجلس في نفس المكان أبو حنيفة النعمان.

لكن حلقة أبي حنيفة ليست كالحلقات قبلها، فليست هي الحلقة التي يجلس فيها المعلم يتكلم ويستمع التلميذ، بل هي حلقة فريدة من نوعها، الكل فيها يتحدث والكل فيها يفكر والكل فيها يقيس الأمور حتى يصلوا إلى الحل فيكبروا جميعا. قد يطول البحث في المسألة الواحدة أياما وليالي، أو شهرا حتى إذا قتلوها بحثا أثبتها أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة الذي دون عنه علمه في مكانها في أبواب العلم.

وإذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنوب أذنبته. ويستغفر، وربما قام وصلّى، فتكشف له المسألة، ويقول: رجوتُ أنه تيب عليّ.

وذات ليلة خرج أبو حنيفة من صلاة العشاء ونعله في يده فكلمه تلميذه في مسألة فتاورا حتى نودي لصلاة الفجر وهما قائمان يتحاوران!!، فرجعا إلى داخل المسجد ليصليا الفجر.

فهؤلاء القوم كانوا يعبدون الله بدراستهم، وعندهم أن كل كلمة تشرح وتوضح شرع الله هي مثل السجدة من السجادات.

وكان الإمام يعلم تلاميذه أنه..

من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ في قلبه

وكان التلاميذ بالحلقة خشعاً قلوبهم، عالقة أبصارهم بالشيخ فإذا تكلم تخفض كل الأصوات، فللحلقة قانون غير مدون ولكنه في القلوب أنه إذا تكلم الشيخ فالكل ينصت ويستمع، وهؤلاء سيكونون في الغد فحولا في العلم والفقهاء.

ومع ذلك فقد كان هناك شيء جميل في مدرسة أبي حنيفة المتميزة، هو حرية الرأي والتفكير... فهي الحلقة التي يسمح فيها للتلميذ بنقد الأستاذ، فكانوا يخالفونه... ليستخرجوا ما عنده من الكنوز كما قال أبو يوسف.

وربما بسبب هذا سمت الجديد من الجدل والمناقشة في العلم كانوا يطلقون على حلقة أبي حنيفة:

”حلقة أصحاب البدع“!!!

وقديما وحديثا قالوا: المرء عدو لما يجهل.

وقد عُرِفَتْ مدرسة أبي حنيفة بمدرسة الأَرَائِيَّتِيْنَ (أي: الذين يفترضون الوقائع بقولهم: أَرَأَيْتَ لَوْ حَصَلَ كَذَا؟ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ كَذَا؟) فإذا سئل فَلَمْ تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَقَعْ؟ " يقول أَبُو حَنِيفَةَ: " لِنَسْتَعِدَّ لِلْبَلَاءِ قَبْلَ نَزْوَلِهِ، فَإِذَا مَا وَقَعَ، عَرَفْنَا الدُّخُولَ فِيهِ وَالخُرُوجَ مِنْهُ." "

وهي مدرسة فكرية لها مؤيدوها ولها معارضوها الذين يقولوا نترك الأمر حتى يقع، فإذا وقع فسيجعل الله له مخرجا.



مسجد أبو حنيفة النعمان بحى الأعظمية ببغداد

ولأن قانون هذه الحلقة هو حرية الرأي والتفكير فقد خرجت منها آراء فقهية راقية سابقة لعصرها، بل سابقة لعصرنا نحن، وإن عارضها معاصروه مثل قوله: إن للمرأة أن تجلس على كرسي القضاء... طالما قُبلت شهادتها.

وتناهت به الحرية إلى أن أصبح عدواً للقيود حيث وجد، حتى في مسألة الخلافة.. فلم يقبل أن تكون الخلافة حكراً على قريش وحدها، بل يمكن أن يكون الخليفة من أي بلد شرط أن يكون كفؤاً عدلاً، على عكس كافة الأئمة الذين أخذوا بظاهر حديث: الأئمة من قريش **حديث صحيح رواه أحمد ومعناه في الصحيحين**، وتابع أبا حنيفة في هذا الرأي عدد قليل من العلماء منهم ابن حجر، وهذا ما جعل الأتراك العثمانيون يتخذون المذهب الحنفي مذهباً عاماً لدولة الخلافة العثمانية لأنه المذهب الوحيد الذي يجيز الخلافة لغير القرشي.. وغير ذلك الكثير من الأمثلة.

ومن المسائل الفقهية التي درسوها قضية الماء المستعمل وهل يجوز الوضوء به... فهناك من أجازها، لكن الإمام رأى أن الماء قد فقد صفة المطهر باستعماله فكان أصحاب أبي حنيفة يستعملون صنابير لخزانات المياه حتى لا يستعمل الماء في الوضوء إلا مرة واحدة ولا توضع اليد في الماء مرات عديدة فيصبح كالمستعمل.. ومن هنا جاءت تسمية صنوبر الماء بالحنفية نسبة لأصحاب مذهب أبي حنيفة.

أصول المذهب الحنفي

سئل أبو حنيفة عن مذهبه في الفقه فقال:

" إني أَخَذُ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَمَا لَمْ أَجِدْ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ لَمْ أَجِدْ أَخَذْتُ بِقَوْلِ أَصْحَابِهِ، أَخَذُ بِقَوْلِ مَنْ سَنَتْ مِنْهُمْ، وَأَدْعُ قَوْلَ مَنْ سَنَتْ مِنْهُمْ، وَلَا أَخْرُجُ مِنْ قَوْلِهِمْ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِمْ، أَمَا إِذَا انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَالشَّعْبِيِّ وَابْنِ سِيرِينَ، وَالْحَسَنِ، وَعَطَاءٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - وَعَدَدَ رِجَالًا - فَقَوْمٌ اجْتَهَدُوا، فَأَجْتَهِدُ كَمَا اجْتَهَدُوا "

وعلى هذا الأساس بنيت القاعدة الأصولية التي تقول:

كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع

وعلى هذا أسس أبو حنيفة ببغداد مدرسة الرأي والقياس وإعمال العقل في فهم الأحاديث والآيات، وكان ذلك غريبا في وقت كان علماء عصره يعتمدون فقط على الأخذ بالنصوص بحذافيرها فكان أبو حنيفة يقيس المسألة على أخرى ليردها إلى أصل من الكتاب والسنة.

ولأنهم يُعْمَلون العقل في فهم الحديث فكان لا بد أن يتأكدوا من صحة الحديث أولا، ولذا كان أبو حنيفة يَتَشَدَّدُ في قبول الأخبار، ويشترط

لذلك شروطاً صعبة، نظراً لانتشار الوضع في الحديث، وكان العراق في عصره مصدر الحركات الفكرية والثورية في العالم الإسلامي، ومن ثم كان مصدراً خصباً لتزوير الأحاديث، ومرتجاً سهلاً للوَضَاعِينِ، ممَّا دعا أبا حنيفة إلى التثبت والاحتياط، فلم يقبل إلا الأحاديث المشهورة في أيدي الثقات.



مسجد أبو حنيفة النعمان بحى الأعظمية ببغداد

أبو حنيفة وأخلاق الصالحين

كانت قرعة عين أبي حنيفة في الصلاة وقراءة القرآن، حتى قيل إنه ختم القرآن آلاف المرات، وقيل إنه ظل يصلي الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، بمعنى أنه يقوم الليل كله ولا ينام.

وكان إذا أراد القيام توضأ وتعطر، ولبس أحسن ثيابه، وسرح لحيته.. وكان لأبي حنيفة ثوب قيمته ١٥٠٠ درهم يصلي فيه قيام الليل فقط، في الوقت الذي كان ثمن ثوب الخليفة نفسه ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ درهم.. وذلك حتى يكون في كامل زينته أمام الله عز وجل وهو المستخفي في الظلام، وكان يقول:

التزين لله أولى من التزين للناس

ولما حفظ ولده حماد سورة الفاتحة احتفل به أعظم احتفال، وأعطى لمعلمه ٥٠٠ درهم فلما استكثر المعلم ذلك السخاء فهو لم يعلمه سوى الفاتحة قال له: لا تستحقر ما علمت ولدي، لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن.

ومثال آخر لأخلاق أبي حنيفة الرفيعة موقفه من أمه التي كان لا يستهويها الفقه والعلم وإنما يستهويها الوعظ والتزكية الروحية فقط، فكانت لا تثق في الفتيا إلا إذا جاءت من الوعاظ وليس من الفقهاء حتى لو كان الفقيه هو ابنها العَلَم الفرد!! فقد حلفت يمينا واستقتت

ابنها فأفتاها، فلم ترض بما أفتاها به، وأبت إلا أن يفتيها زُرعة القاص " الواعظ " فحملها أبو حنيفة بنفسه إلى زُرعة الذي قال لها: أفتيك وابنك فقيه الكوفة؟. وألمح أبو حنيفة لزُرعة بالفتوى فأفتاها بها فقبلتها لما جاءت من زُرعة الواعظ!!.

ويظل أبو حنيفة يجلس أمه ويدلها طول حياتها، حتى كان يحملها ٣ أميال لتصلي التراويح خلف عمر بن ذر الواعظ ولتستمع لوعظه ودعائه الجميل الذي يقول فيه:

أتعذبنا يا رب وفي جوفنا التوحيد.

وأما عن ورع أبي حنيفة وخوفه من الله تعالى فيكفي أن تقرأ هذه القصة الرائعة: فقد صلى أبو حنيفة العشاء يوماً خلف مؤذن المسجد، فقرأ المؤذن سورة الزلزلة، فلما قضيت الصلاة وخرج الناس من المسجد يقول المؤذن: فنظرت لأبي حنيفة هو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا ينشغل قلبه بي، فخرجت وتركت القنديل وليس فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو لا يزال في مجلسه يقول: يا من يجزي بمتقال ذرة خير خيراً، ويا من يجزي بمتقال ذرة شر شراً، أجز النعمان عبدك من النار وأدخله في سعة رحمتك. قال: فدخلت المسجد، فقال أبو حنيفة: تريد أن تأخذ القنديل؟، وهو يظن أنه لا يزال في وقت العشاء!! فقلت: قد طلع الفجر. فقال: اكنم عني ما رأيت، وركع ركعتين، وجلس ليصلي الفجر معنا بوضوء العشاء.

أبو حنيفة وحسن الجوار

كان أبو حنيفة يحيي الليل قائماً يصلى، وبجواره جار له إسكافي (يصنع ويصلح الأحذية) يحيي الليل منتشياً بالشراب، يعمل طول النهار فإذا جن الليل يشرب ويعلو صوته قائلاً:

أضاعوني واي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد نحر

وذات مساء افتقد أبو حنيفة صوت جاره السكير فسأل عنه فقيل، أخذه العسس (الشرطة) إلى السجن، فصلى أبو حنيفة الفجر وذهب إلى دار الأمير يسأله المغفرة لجاره، فأكرم الأمير مثواه وأطلقه من حينه، فرجع مع الإسكافي، وفي الطريق ضاحكه أبو حنيفة قائلاً: "هل أضعناك يا فتى" فقال: بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً. وكان لهذا الصنيع لفتة بارعة تاب بعدها الفتى ولزم الحلقة.

وهنا صورة رائعة لرجل الدين الذي لا يعيش معزولاً عن حوله في صومعة أو برج عاجي، بل هو يخالط الناس ويصبر على أذاهم، وهل هناك أولى بذلك من الجار اللصيق؟

وأصابت رجلاً من جيرانه الأغنياء فادحة أثقلته، فجعل يتجلد حتى عضه الجوع وأجدب الدار، فخرج وهو عازم على سؤال الناس، وقصد مجلس أبي حنيفة فجلس ملياً تقيمه الحاجة ويقعده الحياء حتى انفض المجلس فخرج وعاد لداره. ولكن أبا حنيفة قرأ في وجهه ما لم يقرأ غيره،

فلما جن الليل أخرج له صرة فيها ٥٠٠٠ درهم وطرق الباب وقال: أيها الرجل وضعت على بابك شيئاً هو لك، ورجع مسرعاً حتى لا يرى ذل الحاجة في عين الرجل!!.

وبلغ من شدة عنايته بجيرانه أن بعضهم كانوا يظنون أنه يستطيع أن يفعل لهم أي شيء. فجاءه يوماً جار له وقد وضع مالا في موضع ما ثم نساه، فجاء لأبي حنيفة يسأله عن موضع النقود!!! فقال أبو حنيفة: هذه ليست من مسائل الفقه!! ولكني أحتال لك.. اذهب الليلة وصلي ثم إنتني في صلاة الفجر. ففعل الرجل، ولم يقم إلا ربع الليل حتى تذكر الموضع فذهب إليه ووجد المال. فجاء الرجل لأبي حنيفة فقال الإمام:

**قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك بالمال،
فهلا أتممت ليلتك شكراً لله!!**



أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة

ألت إلى أبي حنيفة رئاسة الحلقة وهو في الأربعين من عمره وكان من أبرز تلاميذه أبو يوسف، ولما مرض أبو يوسف أشفق عليه أبو حنيفة وكان يكثر السؤال عنه قائلا: كنت أؤملك للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير.

ولما مات أبو حنيفة كان عمر أبي يوسف ٣٧ سنة، وتولى القضاء للخلفاء الثلاثة المهدي والهادي والرشيد وبلغ أوج مجده في عهد الرشيد، حيث استحدثت له وظيفة قاضي القضاة.

وأتاح أبو يوسف للفقهاء الحنفي مجالا جديدا باشتغاله بالقضاء للخلفاء، فاكتمت المذهب الحنفي أفكارا جديدة لم يكتسبها غيره من المذاهب التي تنزهت عن العمل مع الخلفاء، ومن أجل ذلك كان المذهب الحنفي يسمى.

مذهب السلطان

ولأن تلاميذ أبي حنيفة قبلوا العمل مع الخلفاء في منصب القضاء على عكس غيرهم من المذاهب الأخرى فإن فقه السياسة والدولة والحكم أكثره موجود في المذهب الحنفي.



في أواخر أيام بني أمية زادت الفتنة فجمع يزيد بن هبيرة والي العراق وقتها الفقهاء وولاهم مناصب في الدولة تقرباً لعموم الناس، وهى تمثيلة ستتكرر عبر العصور بعد ذلك، فحين يشعر الطاغية بنهاية حكمه يلبس ثوب الزهاد المحبين للدين.

وتنازل والي لأبي حنيفة عن جزء من سلطانه فطلب منه أن يكون في يده خاتم الدولة يختم به كل أمر، فرفض أبو حنيفة وألح أصحابه عليه بالقبول فأبى، وقال:

يريد أن يكتب بضرب عنق رجل وأختم أنا على الكتاب،

والله لا أفعل أبدا

فسجنه يزيد بن هبيرة أسبوعين وأمر بضربه بالسياط، فضربه 100 سوط فلم يزده العذاب إلا ثباتا. ولما سقطت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية رأى الإمام أن بدايات الدولة غير مبشرة بسبب شلال الدم الذى مهد لقيام وتثبيت أركان الدولة العباسية.

وبعد أن استقرت الدولة العباسية جاء أبو جعفر المنصور وطلب منه أن يتولى القضاء فرفض بشدة، وأصر أمير المؤمنين، وأصر إمام المسلمين، فأمر به أبو جعفر إلى السجن... فقال أبو حنيفة: أصلح الله أمير المؤمنين، أنا لا أصلح للقضاء، والله ما أنا بمأمون الرضا

فكيف أكون مأمون الغضب.. فقال أبو جعفر: كذبت. قال أبو حنيفة:
قد حكم أمير المؤمنين أنني لا أصلح للقضاء لأنه ينسبني للكذب فكيف
تولى القضاء رجلا كذابا!!...!

فسيق للسجن وجلد 30 سوطا حتى سال الدم على رجليه، ورأته أمه
على هذا الحال فبكت، فكان يقول:

والله ما أوجعتني السياط قدر ما أوجعتني دموعها

فقال عم الخليفة للخليفة سللت على نفسك 30000 سيف، هذا فقيه
المشرق!! فامر أبو جعفر بإطلاق سراحه وأمر له بـ 30000 درهم
(ألف درهم مقابل كل سوط) فرفضها أبو حنيفة ورفض حتى أن يأخذها
ويتصدق بها، ورجع إلى بيته فمات بعد أيام من رجوعه. وقيل بل مات
في السجن.



وفاة أبي حنيفة

مات رضي الله عنه سنة 150 هـ، وهو نفس العام الذي ولد فيه الإمام الشافعي، وصلى عليه الآلاف، وأعيد الصلاة عليه 6 مرات من كثرة الناس، وجاء المنصور فصلي على قبره.

وقبر أبي حنيفة لا يزال ببغداد معروفاً يُزارُ في حي يسمى باسمه وهو «حي الأعظمية» نسبة إلى الإمام الأعظم إبي حنيفة النعمان.

فلما دفنوه قال الحسن بن عمارة قاضي بغداد:

**رحمك الله لم تفطر منذ 30 سنة ولم تتوسد عينك النوم
بالليل منذ 40 سنة وكنت أفقهننا وأعبدنا وأجمعنا لخال
الخير وأتعبت من بعدك.**



كلمة أخيرة (الصلاة)

كانت قرّة عين أبي حنيفة في الصلاة، وكان إذا أراد القيام توضأ وتعطر، ولبس أحسن ثيابه، وسرح لحيته.. وكان لأبي حنيفة ثوب قيمته ١٥٠٠ درهم يصلي فيه قيام الليل فقط، في الوقت الذي كان ثمن ثوب الخليفة نفسه بـ ٥٠٠ درهم.. وذلك حتى يكون في كامل زينته أمام الله عز وجل وهو المستخفي في الظلام. وأختتم هذا الكتيب بكلمة عن الصلاة.

فالصلاة عماد الدين، وفريضة رب العالمين، ومعراج المؤمنين، من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة. وهى عنوان المسلم الطائع، وطريق المؤمن الخاشع إلى رب العالمين، لا يحافظ عليها إلا مؤمن، ولا يتهاون بها إلا متكاسل أو منافق.

أهمية الصلاة

- لعظيم أهمية الصلاة لم تسقط عن المريض، فرخص له بالصلاة حسب حاله، فقال صلى الله عليه وسلم: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ. رواه البخاري
- بل إن الصلاة لم يُعَفَّ منها المجاهد في الحرب وهو أمام العدو، كما قال تعالى "وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَأْتَنَّهُمْ طَائِفَةٌ

مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ" لأنه بالصلاة ينصر المرء وهو في الحرب، وبسببها يوفق إن كان في السلم، وبنورها يخفف عنه الكرب.

- وهى أول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة كما في الحديث: "أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَّحَتْ صَلَّحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ.
- وهى أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا.
- وفوق كل ذلك، فإن الصلاة أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى أهل اليمن، قال له: إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوجِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ.

فوائد الصلاة

- الصلاة راحة للقلب وطمأنينة للنفوس والروح، فالمصلي إذا فرغ قلبه لمناجاة ربه، وأكمل خشوعها، فإنه ينصرف من صلاته، وقد وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، لذلك كان صلى

الله عليه وسلم يقول لبلال بن رباح رضي الله عنه: قم يا بلال فأرخنا بالصلاة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

● والصلاة إن كان فيها خشوع، فبالتأكيد سيشعر المصلي براحة وهدوء نفسي، ولذا فإن المسلم مأمور أن يأتي هادئاً إلى الصلاة ففي الحديث: "إذا أتيتُم الصلاة، فلا تأتوها وأنتم تسعون (وأنتم مسرعين) وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأفوضوا" الألباني. صحيح.

● والصلاة نور للإنسان، ونصيبه من نور الله تعالى على قدر صلاته يستضيئ بسببه في حياته ويشعر بالراحة والصلة مع خالقه قال صلى الله عليه وسلم: "الصلاة نور"

● وكثرة الصلاة سبب لمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتُه بوضوئه وحاجته، فقال لي: سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذلك! قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.

● ومن حافظ على الصلاة كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة: كما في الحديث: من جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة.

• ومن فوائدها أنها مغفرة للمعاصي والذنوب وما يقع به المؤمن في ليله ونهاره فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ امْرِئٍ مُسَلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةً مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ” **رواه مسلم** . وقال أيضا: إن العبد إذا قام يصلي، أُتِيَ بذنوبه فجعلت على رأسه وعاتقيه، كلما ركع وسجد تساقطت عنه. **حديث صحيح**.

• فصلاة المسلم بمثابة الحصن الحصين أمام المعاصي والمنكرات؛ شريطة أن يؤديها العبد بخشوع، والله تعالى يقول: ائْتُوا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ”
 • والصلاة تقربك من الله كما في الحديث: “إِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ.”

من المعينات على أداء الصلاة:

• من المعينات على الصلاة أن يستشعر الإنسان كمَّ النعم المحاط بها من الله تعالى، فعند ذلك ربما يصيبه الحياء من الله عزَّ وجلَّ في أن يُضيع صلاته، وكأن قائلًا يقول له: "لقد أعطاك الله هذه النعم كلها، أتستثقل خمس صلوات في اليوم؟" فربما يكون هذا دافعًا له للقيام إلى الصلاة.

• ومن المعينات على أداء الصلاة أن يتضرع الإنسان إلى الله صادقاً؛ كي يُعينه على التخلُّص من وساوس الشيطان التي تبعده عن الصلاة، قال تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"، وقال: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ".

• ومن المعينات على أداء الصلاة تذكُّر الموت والآخرة باستمرار وأن الموت قد يأتي فجأة فلا يأتيك وأنت تارك للصلاة.

ومن المعينات على الخشوع في الصلاة:

الخشوع روح الصلاة وإنما يحصل الخشوع لمن فرغ قلبه للصلاة ولذا كان الرسول يستعيذ بالله من القلب الذي لا يخشع، كما في الحديث: اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها" **رواه مسلم**.

• ومن المعينات على الخشوع استبعاد المشاغل كليلها قبل الدخول في الصلاة، فمن كان جائعاً، فليأكل أولاً، ومن كان محتاجاً لدخول دورة المياه، فعليه أن يقضي حاجته أولاً، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان (البول والغائط)"؛ **رواه مسلم**، وكان أبو الدرداء يقول: "من فقه الرجل أن ينهي حاجته قبل دخوله في الصلاة؛ ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ".

• ومن المعينات على الخشوع قراءة آيات مختلفة في كل صلاة للبعد عن الرتابة التي تؤدي للسهو وعدم الخشوع، مع محاولة تدبر معاني القرآن، فهذا التدبر سبيلك للخشوع كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

• ومن المعينات على الخشوع الطمأنينة وعدم التسرع في أداء الصلاة ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجلًا، فصلّى، ثم جاء، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه السلام، فقال: ارجع فصلّ؛ فإنك لم تصلّ، فصلّى، ثم جاء، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ارجع فصلّ؛ فإنك لم تصلّ ثلاثًا، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيره، فعلمني، فقال صلى الله عليه وسلم: إذا قمت إلى الصلاة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم اعمل ذلك في صلاتك كلها. **رواه البخاري ومسلم**

• ومن المعينات على الخشوع تذكر الموت، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته، لحري أن يحسن صلاته، وفي الحديث: وصلّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها **صححه الألباني**. وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصليّ "صلاة مودّع".

رواه الطبراني ورجاله ثقات.

هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلى:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى www.drgilany.com

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.